التعليم في اليمن الديمقراطية قبل الاستقلال

علوي عبدالله طاهر *

ان من دأب الاستعمار ألا يفكر الا في الاستغلال الاقتصادي للبلدان التي يستعمرها ، وحتى يتمكن من هذا الاستغلال لا بد أن يجرد شعوبها من كل ما يوقظها الى معرفة ما ينتاب مصالحها أو يحطم كيانها .

فالاستعمار يؤمل دائما أن تظل الشعوب المستعمرة التي يسيطر عليها في جهل مطبق ، منصرفة عن العلم تمام الانصراف ، هائمة كالسوائم رغبة منه في تنفيذ مشاريعه بسلام . وهذا ما فعله الاستعمار البريطاني في جنوب اليمن ، فقد ضغط على الشعب ورفض كل ما من شأنه أن ينهض به أو يخرجه من واقعه المتخلف ، فوقف ضد كل عمل جماهيري من شأنه أن يحدث تغييرا في المجتمع (١) .

وعلى أساس ذلك فقد ظل جنوب اليمن لسنين طويلة محروما من العلم والثقافة ، في الوقت الذي كان في مقدور الاستعمار البريطاني أن يدخل اليه التعليم في السنوات الأولى لحكمه واستيلائه على المنطقة ولكنه لم يفعل .

التعليم في عدن :

افتتحت أول مدرسة في عدن بعد مضي سبعة عشر عاما من الاحتلال البريطاني لها ، وكان ذلك في عام ١٨٥٦م ولكن الاستعمار أغلقها بعد سنتين فقط من افتتاحها (٢) . **وكان الهدف من تلك المدرسة هو التبشير بالدين المسيحي كجزء من السياسة الاستعمارية حينذاك ، التي كانت تستهدف القضاء على هوية البلدان التي تستعمرها ، حيث كان يفرس في أبنائها أفكاره ليكون مقبولا ونزول كراهية الشعب له .**

---

* معيد بقسم اللغة العربية ــ كلية التربية جامعة عدن .

وكما هو معروف فان عدن قد نكبت بالاستعمار البريطاني في عام ١٩٣٩م ، ولكنها ظلت مرتبطة بالهند حتى عام ١٩٣٦م حينما شعر الانجليز بأن الهند على وشك أن تنال استقلالها ، فبادر الى ربطها بوزارة المستعمرات البريطانية ، **وقد عمل الانجليز على تشجيع الهجرة الأجنبية الى عدن لذوبان الجنس العربي وايجاد خليط من السكان ذوي ميول مختلفة ومصالح متباينة يرتكز عليهم الاستعمار ، الى جانب ما يحدثونه من خلل في صفوف الوطنيين من أبناء الوطن** . وكان من نتائج تلك السياسة أن وفد الى عدن أعداد من الجنسيات المختلفة أتى بهم الانجليز من مستعمراتهم المختلفة ، أو من دول (الكومنولث) .

وقد أثر وجود هذه الجنسيات على الوضع التعليمي والثقافي في عدن ، كما أثر وجودهم أيضا على الحياة الاجتماعية وكذا الحياة الاقتصادية .

وكان هدف الانجليز من فتح أية مدرسة تلبية حاجته من الموظفين والمستخدمين الذين يجيدون اللغة الانجليزية ليتمكن من التفاهم معهم ، ويستطيع بواسطتهم تسيير أعماله ، وتنفيذ مخططاته ، وهو في سبيل تحقيق ذلك افتتح مدرسة ابتدائية في عدن عام ١٨٦٦م (٣) . وكان معظم التلاميذ الذين التحقوا فيها من جنسيات متعددة ، ونسبة العرب فيهم كانت ضئيلة جدا لا تتجاوز ٨٪ من عدد الطلاب في المدرسة (٤) .

والى جانب تلك المدرسة الانجليزية افتتحت مدرسة أخرى عربية حكومية ، كانت الدراسة فيها تعتمد على قراءة القرآن الكريم ودراسة بعض المواد الدينية ، ثم ادخلت فيها بعض المواد الأخرى فيما بعد .

والى جانب هاتين المدرستين وجدت بعض المدارس للجاليات الأخرى ، فقد وجدت مدرسة للصومال في المعلا ، وأخرى لليهود .

وركز الاستعمار اهتمامه بمدارس المبشرين وحاول أن يفتح أبوابها للايتام والمنبوذين بهدف تنصيرهم فيما بعد (٥) . وفي الفترة بين عامي ١٨٧٥م و ١٩٠٠م أي خلال الربع الأخير من القرن الماضي لم يفتح الانجليز غير مدرستين اثنتين الأولى في المعلا عام ١٨٧٩م والأخرى في التواهي عام ١٨٨٠م (٦) وافتتحت خلال هذه الفترة أيضا مدرستان تبشيريتان كاثوليكيتان .

ولقد كان لارتباط عدن بالهند أثره البالغ في الوضع التعليمي المتردي ، وتخلف اللغة العربية ، وأيضا على الثقافة العربية ، فقد كان معظم المدرسين من الهنود ، وكان النظام التعليمي تابعا للهند .

ورغم طول فترة ارتباط عدن بالهند فانه لم يحصل أي تقدم في النظام التعليمي خلال هذه الفترة كلها ، فقد ظل التعليم محصورا على الأجانب الوافدين الى عدن من جنسيات مختلفة ، أما العرب أبناء البلد فلم يكن أمامهم أية فرصة

للتعليم ، وكانت المدارس العربية ـــ ان وجدت ـــ عبارة عن غرف ملحقة بالمساجد وهي غرف ضيقة ومظلمة تنعدم فيها وسائل التهوية ، وكان المعلمون لا يحملون اي مستوى علمي أو تربوي يؤهلهم للتدريس ، ولا يمتلكون اية معرفة بأصول التدريس الحديث ، فأساليبهم بدائية ، وطرقهم عقيمة منفرة . واستمر هـذا الوضع المتردي في الحياة التعليمية الى أن تخلصت عدن من تبعيتها للهنـــد ، وصارت تتبع مباشرة وزارة المستعمرات البريطانية .

ومن أسباب هذا التردي ان السكان في الماضي كان اقبالهم على التعليـم والمطالبة به محدودا بل نادرا الا بين أسر قليلة ، مما جعل الحكومة البريطانية تغض الطرف عنه ولا توليه الا قليلا من العناية ، والسبب الثاني ان رجال المعارف في السابق كانت تعينهم الحكومة الهندية من الهنود فيصطدمون برجال الادارة البريطانية ، ولا يجدون منهم الموافقه التامة على المشاريع التي يضعونها في سبيل التعليم فتمضي عليهم السنوات مشلولي الأيدي فاقدي النفوذ نتيجة للعوامـــل النفسانية وتنازع السلطة بين الفريقين (٧) .

وخلال فترة تولي الاستاذ عطا حسين نظارة المعارف في عدن فيما بـين ١٩٢١م ـــ ١٩٣٠م ادخل تحسينات لا بأس بها في نظام التعليم (٨) فقد استطاع أن يدخل بعض الأساليب الحديثة في التعليم ومنع ضرب الأطفال في المدارس ، وفي عهده فتحت مدرسة ليلية لتدريب المعلمين ضمت عددا لا بأس بهم من المعلمين ، وفي عهده ايضا أعد الطلبة لأول مرة لامتحانات شهادة (سنير كامبردج) ، وفـي عهده كذلك أرسلت أول بعثة طلابية الى بريطانيا ، عاد بعضهم ليعملوا مدرسين فيما بعد . كما تم في أيامه ادخال بعض التغييرات في المناهج التعليمية ، وقد تمكن من تطوير التعليم الابتدائي حيث عين الاستاذ كامل عبدالله صلاح (٩) مديرا لأول مدرسة ابتدائية حديثة ، فاستطاع أن يطور التعليم الديني واعتنى كثيرا باللغـة العربية (١٠) .

وحسن عطا هذا هو أحد الهنود المسلمين المؤهلين تأهيلا عاليا ، ومن بعده تولى نظارة المعارف الاستاذ الفاروقي وهو هندي أيضا . واستطاع الفاروقي أن يضع برامج مفصلة للتعليم الابتدائـي والثانوي ، وأدخل نظـام الامتحانات المشتركة ، واهتم بالمكتبة المدرسية ، كما افتتحت في أيامه أول مدرسة ابتدائية للبنات (١١) .

وتحت الحاح المواطنين ومطالباتهم المستمرة في الاهتمام باللغة العربيـة أدخلت اللغة العربية ضمن مواد الدراسة في الصفوف الأولـى من المدرسة الثانوية .

وكان آخر ناظر هندي لعدن قبل تبعيتها لوزارة المستعمرات البريطانية عام ١٩٣٧م هو محمد نوزا (١٢) . وفي عهـــده ادخلت الرياضة المدرسية وصارت الألعاب الرياضية جزءا من الدراسة .

واذا أخذنا أعداد الموجودين في مدارس عدن في منتصف الثلاثينات أي قبل انضمام عدن الى وزارة المستعمرات البريطانية ، وبعد مضي مائة عام علـــى الاستعمار والتبعية للهند ، سنجد أنها كانت قليلة للغاية ، فالمدارس الحكومية في المستعمرة لم تزد عن أربع (١٣) مدارس أما الابتدائية المعانة فكانت ست (١٤) مدارس فقط .

وكان مجموع طلبة هذين النوعين من المدارس أقل من ألف تلميذ ، أمـــا تلاميذ الكتاتيب أو المدارس غير المعترف بها بما في ذلك بعض مدارس الأقليات فكانوا حوالي الألفين ، كما أن طلبة المدارس الثلاث الانجلو / محلية ذات الأقسام الثانوية لم يزيدوا عن مئتي طالب ، وكانت الدراسة في هذا النوع الأخير مـــن المدارس فيما عدا الثلاثة الصفوف النهائية تعطي بواسطة لغة الطلبة التي كانوا يتكلمونها كالعربية والجزراتية .. الخ . وعلى الرغم من أن السكان العرب كانوا هم الغالبية فأنهم من حيث أعداد الطلبة كانوا أقل تمثيلا من بقية الجاليات كالهنود واليهود (١٥) .

وفي عام ١٩٣٥م أي قبل انتقال تبعية عدن الى وزارة المستعمرات بعامين تم افتتاح (كلية أبناء المشايخ) في جبل جديد ، وقد استمرت هذه الكلية في تخريج أبناء الرؤساء والأمراء والمشايخ والعقال الى عام ١٩٥٢م ، حينما اقفلت أبوابها لتأخذ كلية عدن دورها (١٦) . وكان الغرض من تأسيس هذه المدرسة اخراج جيل من أبناء الأمراء والسلاطين والمشايخ يعرفون ما فيه الكفاية من اللغة الانجليزية تمكنهم من الاتصال بضباط القاعدة البريطانية ومستخدميها ، الى جانب اعدادهم ليكونوا حكاما موالين للسلطات الاستعمارية في المستقبل .

وفي عام ١٩٣٧م انفصلت عدن عن ادارة الهنـــد والحقت راسا بوزارة المستعمرات وبعدها بعامين اسندت ادارة المعارف الى أحد البريطانيين (١٧) ، فنشط لترقية التعليم في المستعمرة والنهوض به .. فاستدعى جملة من رجـــال التعليم من الخارج وزاد أجور المعلمين وفتح كثيرا من المدارس الأولية وزاد مـــا يصرف من المال على التعليم (١٨) .

وفي هذه الاثناء شعر المواطنون بواجبهم نحو اصلاح بلادهم فبدأت المطالبات الجادة لنشر الثقافة في البلاد ، ففتحت المدارس الابتدائية بجهود بعض الأفراد أو بمبادرات جماهيرية لتمكين الأطفال من معرفة بعض المواد الأولية كالقـــراءة والكتابة والحساب ، وأخذت الكتاتيب تعمل لتعليم عدد كبير من الأطفال قراءة

القرآن الكريم وبعض أحكام الدين واعدادهم للدراسة الابتدائية (١٩) .

وكان ادراك المواطنين لضرورة التعليم قد تضاعف ومطالبتهم به قد اشتدت ، فبعث كثير منهم أولاده الى تلقي العلم في الخارج وانتشرت البعوث العلمية العدنية بين لبنان ومصر وبريطانيا والهند والعراق والسودان ، وعادت طلائع الفائزين في التربية والتعليم والحقوق والطب الى الوطن ، واسند الى بعض أفرادها وظائف ذات شأن ونفوذ تعين الى مدى بعيد على تحقيق الاصلاح بمعنى واسع ، وماتت تلك الخطة الاستعمارية التي ترمي الى حصر التعليم في نطاق ضيق ، غايته ايجاد صغار الموظفين من كتبة وسعاة (٢٠) .

وكان لوجود بعض الطلائع المتنورة في عدن أثرها في الضغط على الحكومة البريطانية ، نستدل على ذلك من وثيقة بعثها نادي الاصلاح العربي الاسلامي بتاريخ ١٦ أبريل ١٩٤٠ م مرسلة الى حاكم عدن البريطاني وفيها يطالبون بتحقيق ما يلي (٢١) :

١ ــ رفع مستوى التعليم في عدن لدرجة عالية تمكن الطلاب من أبنائها من الاتجهاج في الجامعات الكبرى لطلب الهندسة وغيرها .

٢ ــ ارسال الطلبة من عدن لطلب العلم في الخارج على نفقة الحكومة .

٣ ــ تعليم الكيمياء والعلوم للطلبة في عدن .

٤ ــ تعليم الطلبة الى مستوى يؤهلهم لطلب درجات عالية غير الوظائف الكتابية .

٥ ــ انشاء مدرسة للصناعات والفنون .

٦ ــ انشاء كلية عدن .

٧ ــ تطوير مدرسة البنات بحيث يتعلمن التطريز والخياطة وترتيب المنزل والصحة .

وقد رد الحاكم البريطاني على تلك المذكرة بمذكرة أخرى بتاريخ ١٥ أغسطس ١٩٤٠ م (٢٢) ومن ذلك الرد نستخلص ما يلي :

أ ــ ان المدرسة الثانوية الوحيدة التي كانت موجودة في عدن آنذاك لم تستكمل صفوفها بما يؤهل طلابها للالتحاق بالجامعات أو المعاهد العليا .

ب ــ تعللت المذكرة الجوابية بأن عدم ارسال بعثات تعليمية الى الخارج مرده الى ان مستوى الطلاب حينها لا يؤهلهم للالتحاق بالجامعات التي تشترط انهاء الدراسة الثانوية .

د ـــ وعدت المذكرة بادخال مادة الكيمياء الى المدرسة الثانوية ووعدت باجراء الترتيبات اللازمة لهذا الغرض .

د ـــ بررت المذكرة الجوابية القول بأن التعليم لا يستهدف سوى اخـــراج كتبة بأنها تؤهلهم للحصول على فرص العمل المتاحة آنذاك والتي لا تتعدى عمل الكتبة ليحلوا محل الأجانب الذين تأتي بهم من الخارج .

هـ ـــ وعدت المذكرة الجوابية بانشاء كلية عدن وبررت عدم انشائها حتى ذلك الزمن بأن عدن ليست من الكبر بحيث يمكن تبرير انشاء كلية خاصة بها ، ولكن عند انشائها يمكن ان تكون لأبناء عدن والمحميات .

و ـــ وعدت المذكرة بانشاء مدرسة للفنون والصناعات .

ز ـــ بررت المذكرة بأن عدم تطوير مدرسة البنات بأن الآباء يخرجون بناتهم من المدرسة قبل انهاء الصف الرابع .

وكان لتلك المطالب التي تقدم بها المواطنون الى الحاكم البريطاني في عدن اثرها في تطوير التعليم وانعاشه في عدن ، فقد كانوا يلحون على الحكومة ويكثرون الطلبات عليها للقيام باصلاح شؤونهم ومن أولها توسيع نطاق التعليم ورفـــع مستواه حين يضمن لهم تبوؤ الوظائف العالية والمراكز الرفيعة التي كانت في الماضي وقفا على الغرباء .

كتب عبد الرحمن جرجرة في احدى افتتاحيات صحيفة النهضة عام ١٩٤٩ م مقالا بعنوان (ماذا فعلت ادارة المعارف ؟) قال فيه :

« الويل ثم الويل لادارة المعارف ان ردت على سؤالنا بالاكليشه المعتادة « وماذا فعلتم انتم ؟ » . لأننا فعلنا أشياء واشياء ، اذ بالرغم من ضيق أفق آبائنا ، وبالرغم من وداعتهم وسهولة انقيادهم ، فلقد عملوا للمعارف فوق طاقتهم . نعم . صرف الشيخ محمد عبد القادر مكاوي مئات الآلاف لتعليم أولاده في الهند وبريطانيا ، وعلم الاستاذ محمد علي لقمان نفسه ، وعلم نادي الاصلاح بعدن بعثات وبعثات أرسلها الى العراق وارض الكنانة والهند ، رغم انف ادارة المعارف التي كانت تغط في السبات آنئذ . وعلم السيد عبده غانم نجله الاستاذ محمد ، كما انفق الاستاذ لقمان أيضا على تعليم أربعة من انجاله ، وكذا الشيخ سالم باسودان ، وارسلت الجمعيـــة الخيرية الاسلامية الطلاب زرافات ووحدانا الى مصر ، وبعث الشيخ علي بازرعة بأولاده الى القاهرة ثم الى بريطانيا ، كذا عمل الشيخ جعفر مرزا ، وكذا السيد عمر بن طه الصافي ، وتثقف الأديب خلف ابراهيم حسن علي بماله ، وكـــذا الاستاذان علي محمد الشاذلي ومحمود لقمان ، وغيرهما كثيرون ، ألم يقم الأهالي بواجبهم بعد هذه الأمثلة ؟ اذن ماذا عملت ادارة المعارف ؟ » . (٢٣)

وتحت الحاح الجماهير وزيادة ضغطها على الحكومة البريطانية أجبرت الحكومة على فتح عدد من المدارس الابتدائية في مناطق محدودة من عدن ، ولكنها كانت محصورة لأبناء مستعمرة عدن فقط ، ولم يسمح لأبناء المحميات أو أبناء الشمال اليمني بدخولها .. فظل أبناء الريف وابناء الشمال اليمني محرومين من التعليم ، وهذا ما حدا ببعض المواطنين الى بناء بعض المدارس لتستوعب اعدادا لا بأس بها من أبنائهم الذين لم يسمح لهم بدخول مدارس الحكومة . أما أبناء الجاليات الأجنبية من هندوس وفرس ويهود فقد كانت لهم مدارسهم الخاصة بهم تتولى الحكومة البريطانية رعايتها ودعمها . (٢٤)

ففي مدينة كريتر تأسست جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برئاسة الشيخ أحمد عمر بازرعة ثم انتهت وقامت على انقاضها (الجمعية الخيرية الاسلامية) ومن أبرز ما قامت به هذه الجمعية تأسيس (مدرسة بازرعة الخيرية الاسلامية) في طريق العيدروس . وقد استوعبت تلك المدرسة عددا لا بأس به من الطلاب الذين لفظتهم مدارس الحكومة المقتصرة على أبناء مستعمرة عدن فقط .

وفي مدينة التواهي قام لفيف من الشباب المتحمس بجمع التبرعات لبناء مدرسة أهلية فيها، لتستوعب الأطفال الذين لم تقبلهم مدارس الحكومة ، وفيما يلي فقرة من بيان موجه الى المواطنين يناشدهم التبرع لبناء هذه المدرسة :

« ... أيتسكع أبناؤنا ؟ هكذا كانت صرخات العدنيين تدوي . وهزت هذه الصرخة أريحية المواطنين من أبناء التواهي ، فهب نفر منهم يعملون لانقاذ هؤلاء الضحايا من الجهل والتشرد ، فسعوا لبناء مدرسة أهلية ثانوية تحتضن الملفوظين من مدارس الحكومة ... (٢٥) »

وفي مدينة الشيخ عثمان تشكلت لجنة شعبية لتأسيس مدرسة النهضة العربية . وقامت هذه اللجنة بجمع التبرعات لغرض بناء المدرسة . وقد تمكنت اللجنة من بناء المدرسة وتم افتتاحها عام ١٩٤٨ م في الشيخ عثمان .

وبالنظر الى النظام الأساسي للجنة يمكننا التعرف على أهدافها المتمثلة في « القيام بادارة مدرسة النهضة العربية في الشيخ عثمان ، والعمل على كل ما يحقق للمدرسة المذكورة النجاح والنظام والاستقرار ، وكذلك التعاون مع أي سلطة رسمية أو هيئة شعبية لتحقيق هذه الغاية ، والسعي لنشر الثقافة والعلم في أي جزء من أجزاء الوطن . سواء بواسطة تطوير المدرسة المذكورة أو انشاء مدارس أخرى وانشاء المكتبات الثقافية والندوات العلمية الى غير ذلك مما يمت بصلة الى الأهداف المذكورة ... » . (٢٦)

مما سبق نستدل على أن الجماهير اليمنية ناضلت بلا هوادة من أجل تطوير البلاد ونشر التعليم وتعميم الثقافة ومحاربة الجهل ، حتى أجبرت الحكومة

البريطانية على التوسع في التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي .

فبعد الحرب العالمية الثانية تعرض التعليم في عدن لتغيير بطيء ، ففي عام ١٩٤٨ م وضع برنامج محدود شمل بناء مدرستين ثانويتين احداهما للبنين وهي (كلية عدن) التي افتتحت عام ١٩٥٢ م . وأخرى للبنات وهي (ثانوية خورمكسر للبنات) التي افتتحت عام ١٩٥٦ م كما بنت شركة (البس) الاحتكارية المعهد الفني الذي افتتح عام ١٩٥٢ م (٢٧) .

ثم أقبل الناس على التعليم اقبالا متزايدا فاق قدرة المدارس على استيعابهم، الى جانب ان نظام القبول لمدارس الحكومة كان مقيدا لا يسمح به الا لأبناء عدن ، فازدادت الحاجة الى بناء مدارس أخرى لتستوعب هذه الأعداد المتزايدة من الطلاب ، وبخاصة أبناء الريف وشمال اليمن ، فظهرت حاجة ملحة لبناء مدرسة ثانوية أهلية لاستقبال هؤلاء الطلاب . « فقد عرض فضيلة الشيخ محمد بن سالم البيحاني هذا المشروع الجليل على المصلين الذين أموا جامع العسقلاني يوم الجمعة ١٢ يناير (؟) وفي عشرين دقيقة استطاع بلباقته المعهودة واطمئنان الأهالي للمشاريع التي يساندها فضيلته أن يجمع ١٦٠٠ روبية ... » (٢٨)

وقد قام الشيخ البيحاني والى جانبه عدد من المواطنين الغيورين على مصلحة البلاد والمخلصين لتربتها بحملة تبرعات ضخمة في الداخل والخارج ، حتى تمكنوا من تشييد مبنى ضخم (٢٩) ليكون مقرا للمعهد العلمي الاسلامي ، الذي مكن عدد كبير من الطلاب أن يواصلوا دراستهم الثانوية التي مكنتهم فيما بعد من الانطلاق للدراسات الجامعية والعالية ، وقد بني هذا المعهد في عام ١٩٥٥ م .

وشهدت الخمسينات من هذا القرن تطورا مشهودا في التعليم في عدن مقارنة بالسنوات السابقة ، ففي الخمسينات تم التوسع في افتتاح عدد من المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، وفيها تزايد النشاط الجماهيري في مجال نشر العلم والثقافة ومحو الأمية .

ففي الشيخ عثمان مثلا « افتتح نادي الشباب الثقافي مدرسة ليلية شعبية لمن لا تمكنهم أعمالهم من أن يتلقوا دروسهم في النهار . » (٣٠) . كما انشأ المواطنون العديد من النوادي القروية والجمعيات الخيرية التي كانت تدعو لنشر العلم وبناء المدارس ومحو الأمية . كما بنوا مسجدا كبيرا فيها هو مسجد النور الذي ضم معهدا علميا هو معهد النور العلمي ، الى جانب الحلقات العلمية التي كانت تقام في المساجد لتوعية الناس وتعليمهم ومحو أميتهم . حيث كانت الأمية منتشرة في صفوف الشعب وخاصة بين العمال « . ففي عام ١٩٤٦ م كان عدد سكان عدن ٨٠٥١٦ نسمة نسبة المتعلمين فيهم ٢٩ ٪ وفي عام ١٩٥٥م ارتفعت النسبة الى ٤٨ ٪ »(٣١).

وربما يكون سبب زيادة هذه النسبة هو النشاط الذي أبدته الجماهير في نشر العلم والثقافة ، فأدى الى زيادة نسبة عدد المتعلمين ، ولكني أشك في صحة هذه الزيادة في نسبة المتعلمين ، لأن الأمية ظلت تجر ذيولها في عدن وفي غيرها من المناطق اليمنية حتى يوم الاستقلال ١٩٦٧ م وما زالت بقاياها حتى الآن .

وفي مجرى التطور البطيء للتعليم في عدن تم افتتاح ثانوية الاتحاد عام ٦٤/٦٣ م. وقد سميت بعد الاستقلال بثانوية الشعب . وقد ضمت أبناء المناطق الريفية (أبناء المحميات) خاصة بعد قيام الاتحاد الفيدرالي المزيف .

أما تدريب المعلمين فقد أسس مركز لتدريب المعلمين في خور مكسر ليقوم بتأهيل المعلمين الذين يدرسون في المدارس الابتدائية ، وفيه كانوا يحصلون على بعض المعارف الأولية في التربية وعلم النفس وأصول التدريس الى جانب بعض المواد التخصصية ، وقد كان في بادىء الأمر عبارة عن فصول ملحقة باحدى المدارس الثانوية حتى استقل بمبنى خاص به يقع على ساحل أبين ، حول بعد الاستقلال الى مدرسة ابتدائية بعد أن نقل دار المعلمين الى مبنى آخر . كما تأسست كلية بلقيس في الشيخ عثمان عام ١٩٦١ م بمبادرات جماهيرية ليس لها مثيل .

ان أبرز ما كان يتميز به التعليم في عدن (المستعمرة) في ظل حكم الاحتلال البريطاني محدوديته واقتصاره على أبناء عدن دون سواهم من أبناء اليمن ، حتى اولئكم القاطنين في المستعمرة والقادمين اليها من مناطق مختلفة من اليمن ، ولم يكن الهدف من التعليم فيها غير « اخراج موظفين لمكاتب الحكومة وتلبية مطالب الشركات الأجنبية في ملء الوظائف الصغيرة كالكتبة وبعض المحاسبين والمدرسين بينما تعطى الوظائف الكبيرة الهامة للانجليز أنفسهم وللاجانب الذين يمتصون ثروات البلاد وينتزعون لقمة العيش من فم العربي في بلاده ليعيش في فقر وحرمان ، وقد جعل الاستعمار لهذه المدارس القليلة منهجا ممسوخا مشوها بعيدا كل البعد عن تثقيف الطالب ليصبح مواطنا عربيا انسانيا صالحا ... » . (٣٢)

وفي ظل السياسة الاستعمارية التي كانت قائمة في عدن الهادفة الى جعل الشباب مشتت الذهن متخبط الأهداف مبلبل التفكير كانت المناهج التعليمية خليطا عجيبا بين لبنانية وسودانية ومصرية وانجليزية .. الخ . هذا فيما يتعلق بالمدارس الحكومية ، أما المدارس الأهلية فقد كانت كل مدرسة تختار من المناهج ما يروق لها وما يدخل في مزاج القائمين على ادارتها أو المشرفين عليها .

وكانت السياسة الاستعمارية في عدن تهدف فيما تهدف من التعليم تهيئة الفرص في التعليم لمن تضمن ولاءهم ومن يخدمون مصالحها الاقتصادية ، ومن أجل ذلك حصرت التعليم في أبناء عدن فقط .. أي الذين ولدوا فيها بصرف النظر عن

جنسياتهم لتقطع الطريق عن بقية اليمنيين القادمين اليها من الشمال اليمني او من الأرياف (المحميات) .

وازاء هذه السياسة العنصرية وجد اليمنيون القادمون الى عدن من خارجها انفسهم محرومين من التعليم ، فقد تركوا قراهم ووفدوا الى عدن آملين أن يجدوا فيها فرصة التعليم الذي حرموا منه في مناطقهم ، فاذا بالسلطات الاستعمارية تحول بينهم وبينه . فما العمل ؟

ـ الحكم الامامي في الشمال قد فرض الجهل وحال دون انتشار التعليم .

ـ والسلاطين والمشايخ في الجنوب لم يكترثوا بالعلم ولا بالتعليم .

ـ والاستعمار البريطاني في عدن (المستعمرة) قد منعهم منه ، ووضع امامهم الحواجز .

لقد احس اليمنيون ان الجهل سيحولهم الى قطعان من السوائم الهائمة والى غرباء في أرضهم ، لأن الجهل يسلب الانسان حقه في الحياة ، كما يسلبه أرضه وآدميته ، ويفسد فطرته ويحوله الى حيوان أصم أبكم لا يعقل شيئا والى آلة مسخرة وعبد ذليل لا حول له ولا قوة .

فالسواعد الصلبة القوية لا تكفي.انها بحاجة الى عقول توجهها ، والى فكر ينير لها الطريق .

ان هذه السياسة التي مورست في عدن في مجال التعليم وغيره ، قد ولدت عند اليمنيين احساسا بكرامتهم ، واشعرتهم بحاجتهم الملحة الى بناء المدارس التي تصنع عقولهم وتهذب اخلاقهم وتمنحهم حق الحياة في وطنهم وفي كل أرض ينزلون فيها أو مكان يحلون فيه .

فانتشرت الدعوات هنا وهناك مطالبة بالعلم والقضاء على الجهل وبناء المدارس ، وقام رجال الاصلاح والمثقفون بدور رائد في هذا المجال وعمقوا في أذهان الناس اهمية العلم ، واستخدموا في ذلك كل الوسائل الممكنة من الخطابة في المحافل العامة ، او من على منابر المساجد ، الى الكتابة في الصحف الى انزال النشرات والكتيبات .. الى غير ذلك من الوسائل التي كانت تحث الناس على ضرورة الاتحاد وتجميع الصفوف من أجل بناء المدارس ونشر التعليم .

التعليم في المحميات

هذا في عدن (المستعمرة) حينذاك ، اما في بقية مناطق الجنوب اليمني . وهي ما كانت تعرف بالمحميات ، فقد كانت السياسة التعليمية فيها مرتبطة تمام الارتباط بالسياسة التعليمية في عدن (المستعمرة) . فمدير المعارف في عدن ،

والمعتمد البريطاني في المحميات كان يقع عليهما مسؤولية تخطيط السياسة التعليمية الاستعمارية في هذه الاجزاء بحيث لا يتعدى التعليم هناك أن يكون مجرد ذر رماد في العيون وعملية تخدير للشعب . (٣٣)

لقد عمل الاستعمار البريطاني على تركيز التعليم في مدينة عدن بقصد تخريج جيش من الموظفين يفي بحاجيات الادارة والشركات الاحتكارية والبيوتات التجارية الأجنبية والمحلية ، أما المحميات فقد بقيت متخلفة تماما محرومة من التعليم ، وظل البون شاسعا في التعليم بين المدينة والريف ، كما تشير الى ذلك احصاءات اعداد الطلاب في العام الدراسي ٦٥/٦٦م حيث بلغت أعداد الطلاب في عدن في المرحلة الابتدائية ١٤٥٩٥ وفي المرحلة المتوسطة ٧١٠٦ وفي المرحلة الثانوية ٣٤٤٣ ، أما في المناطق الريفية المختلفة (المحميات) فقد كانت أعداد الطلاب ١٦٦٣٥ في المرحلة الابتدائية و ١٧٧٢ في المرحلة المتوسطة ، و ٣٦٦ في المرحلة الثانوية (٣٤).

أما التعليم الفني والمهني فقد ظل مقتصرا على عدن في نطاق المعهد الفني بالمعلا ، الذي كان يستوعب حوالي ٢٠٠ طالبا متدربا لأغراض مرسومة ومحددة ، ولم يكن في المناطق الريفية أي نوع من التعليم الفني أو المهني .

« وكانت المدارس في المحميات صغيرة سميت تجاوزا بالمدارس وهي في الحقيقة عبارة عن كتاتيب لا تعلم غير القراءة والكتابة وبعض الدروس الأولية البسيطة من المواد التعليمية » (٣٥) .

وبدخول عدن في ما سمي (اتحاد الجنوب العربي) أصبحت وزارة المعارف الاتحادية مسؤولة مسؤولية مباشرة عن سير التعليم في سبع عشرة ولاية من ولايات الاتحاد المزيف . ولكن ظلت الفروقات في مستوى التعليم قائمة بين (عدن) المستعمرة ، والمناطق الريفية .

وقد حاول عبد الرحمن جرجرة وزير الارشاد القومي والاعلام في حكومة الاتحاد المزيف حينذاك تبرير هذا التمايز بقوله :

« ... وكما أننا وجدنا فروقا ملحوظة بين التسهيلات التعليمية الموجودة في عدن ، وتلك التي في بقية الولايات ، نجد أن هناك فروقا أيضا في الخدمات التعليمية المتوفرة في كل ولاية على حدة ، وهذا شيء طبيعي ، فالمناطق الساحلية الخصبة المأهولة بالسكان توفر لأبنائها خدمات تعليمية أكثر مما تستطيعه المناطق الجبلية حيث الأرض قاحلة والمواصلات صعبة والاعتمادات المرصودة للتعليم قليلة »(٣٦).

وكما رأينا كانت رموز السلطة ذاتها تعترف بوجود تباين كبير بين مستوى الخدمات التعليمية بين المدينة والريف ، بل بين المناطق الريفية المختلفة ، ولكنها كانت تأتي بالمبررات الواهية لعلها تقنع السكان المحليين بمبرراتها ، ليكفوا عن

المطالبة بفتح المدارس ونشر التعليم وادخال الثقافة الى مناطقهم ، متذرعة بظروف اقتصادية وجغرافية .. الخ .

وهكذا بقيت المناطق الريفية في جنوب اليمن في ظل الاحتلال متباينة تباينا واضحا في الخدمات التعليمية يمكن أن نوضحها فيما يلي :

في لحج مثلا كان يوجد ٢٩ مدرسة ابتدائية . للبنين والبنات ، كما وجدت فيها مدرستان متوسطتان في كل من الحوطة والوهط ، ووجدت ايضا مدرسة ثانوية في الحوطة ،وكان يدرس في تلك المدرسة مدرسون محليون وسودانيون(٣٧). كما كان يدرس فيها بعض المدرسين المصريين (٣٨) .

وفي الضالع كان عدد المدارس الابتدائية ثلاث عشرة مدرسة للبنين والبنات، ومدرسة متوسطة فيها قسم داخلي لأبناء ردفان وحالمين والشعار ، كما يدرس فيها طلبة من الشعيب والمفلحي وجحاف وحرير .. وكان فيها أيضا مدرسة ابتدائية فيها قسم داخلي من ردفان وزبيد والخوارج والشعار (٣٩) .

وفي المسيمير وجدت مدرسة ابتدائية ومدرسة أخرى في جول مدرم وثالثة في الملاح (٤٠) . كما بنيت مدرسة ابتدائية في المسيمير واخرى بالراحة وثالثة بالحرور ، وبنيت مدرستان كل منهما من فصلين في مريب وعقان (٤١) .

وفي الشعيب وجدت مدرسة ابتدائية واحدة كما بنيت اربع مدارس في كل من قرية (القزعة) وقرية (الرباط) وقرية (المضو) وقرية (بخال) كما بني قسم داخلي في العوابل (٤٢) . وبنيت مدرسة في حرير ، واخرى في بني مسلم وثالثة في أرحب ورابعة في شكع وخامسة في خلة (٤٣) .

وفي بير احمد وجدت مدرسة ابتدائية واحدة (٤٤) .

أما في أبين فقد كان عدد المدارس فيها ستا وثلاثين مدرسة ابتدائية للبنين والبنات في زنجبار الى جانب مدرسة اهلية بزنجبار ايضا (٤٥) .

وفي جعار وجدت مدرسة متوسطة الى جانب عدد من المدارس الابتدائية في باتيس والحصن والورو ، كما كان في جعار ايضا مدرستان ابتدائيتان للبنات (٤٦).

وكانت هناك أربع مدارس ابتدائية في أحور للبنين ومدرسة واحدة للبنات (٤٧) .

وفي مودية وجدت عشر مدارس ابتدائية واحدة للبنات ومدرسة اخرى متوسطة فيها قسم داخلي (٤٨) .

أما في شبوه ، فقد وجدت خمس مدارس ابتدائية في نصاب (٤٩) . و ١٢ مدرسة ابتدائية في الصعيد ، الى جانب مدرسة متوسطة (٥٠) . وبنيت مدرسة متوسطة في ميضعة بها قسم داخلي (٥١) . كما شيد معهد ديني في حبان (٥٢) .

وربما يظن القارىء أن تلك المدارس التي ورد ذكرها هي مدارس حديثة فيها كل ما يتطلبه التعليم الحديث ، وحتى لا يظن ذلك أعيد الى ذاكرته ما سبق أن اقتبسناه من قول قحطان محمد الشعبي :

« كانت المدارس في المحميات صغيرة ، سميت تجاوزا بالمدارس ، وهي في الحقيقة عبارة عن كتاتيب لا تعلم غير القراءة والكتابة وبعض الدروس الأولية البسيطة من المواد الأولية » .

ومن هنا ندرك ان التعليم في ما كان يعرف بالمحميات كان متدنيا جدا ، بل ومتخلفا الى أقصى درجات التخلف ، ولم تكن المدارس — ان صح أن نسميها كذلك — الا « ذر رماد في العيون » لايهام الناس بأن التعليم قد وصل الى مناطقهم ، وهي في الواقع لا يمكن تسميتها بالمدارس ، لأنها لا تمت الى التعليم بصلة ، فهي لا تمتلك اية خاصية من خصائص المدارس ، لافتقارها الى أبسط ضروريات التعليم من تجهيزات وكتب ومعدات دراسية ومقاعد للدراسة .. الخ . لقد كانت أقرب الى الكتاتيب منها الى المدارس .

التعليم في حضرموت :

أما في حضرموت فقد كانت « الجهالة ضاربة أطنابها في طول البلاد وعرضها، تنخر جسم الشعب وتهد كيانه وتدفعه الى حياة أشد سوادا من ظلام الليل ، وكان انحضرمي يرنو الى من حوله ببصير مشدوه وفم فاغر ، فلا يكاد يميز بين خرافة وحقيقة » (٥٤) .

بهذه الفقرة استهل المؤرخ صلاح البكري حديثه عن الحركة التعليمية في حضرموت قبل الاستقلال .

كانت المدارس فيها عبارة عن كتاتيب لتعليم القراءة والكتابة ومبادىء الحساب وقليلٌ من علوم الدين واللغة ، وكان عددها ضئيلا جدا ، وكان اقبال الناس عليها يكاد يكون معدوما . وفي ذلك يحدثنا المؤرخ سعيد عوض باوزير قائلا :

« ان النشاط العلمي والاقبال على الدراسة والتعليم قد قل وضعف منذ القرن الثاني عشر الهجري ، ومن ثم تضاءل لذلك الانتاج الفكري في النواحي الأدبية والعلمية وأخذت العقول تتحجر على معلومات متناقلة محدودة تلقن للطلبة تلقينا آليا خاليا من الروح والحياة .

وكان هذا الركود العامي والجمود الفكري بين حملة العلم ورجال الدين سببا في انتشار الجهالة بين طبقات الأمة ...

... وما كاد القرن الرابع عشر الهجري يطل برأسه حتى كانت حضرموت من اقصاها الى أقصاها تستسلم لموجة طاغية من الجهالة عمت الحواضر والبوادي وتركت أثرها البغيض على العقول والقلوب » (٥٤) .

وكان السلاطين الذين تعاقبوا على حكم حضرموت هم سبب التخلف الرهيب ، وكان الاستعمار البريطاني الذي فرض هيمنته عليها عاملا أيضا من عوامل تدهورها وحرمانها من التعليم .

وهناك قصة تعد مثالا صارخا لاسلوب السياسة الاستعمارية البريطانية في حضرموت .

فقد كتبت ادارة معارف الكويت الى سلطنتي حضرموت (٥٥) تطلب ايفاد بعثات من الطلاب للدراسة على نفقة الكويت ولكن السلطات الاستعمارية المسيطرة على دفة الأمور في السلطنتين اعتذرت عن تلبية هذا الطلب ، بحجة عدم امكانها تأمين نفقة سفر الطلاب من حضرموت الى الكويت (٥٦) .

ونتيجة لسوء الأوضاع الداخلية في حضرموت وافتقارها الى المدارس ودور العلم فقد عقدت الهيئات الاجتماعية المختلفة مؤتمرا في تريم حضره ممثلون عن حزب الاتحاد ونادي الشباب ، وجمعية الاخوة وغيرها ، ورفعوا مذكرة الى السلطان حسين بن علي الكثيري تتضمن عدة مطالب شعبية نذكر منها ما يتعلق بالتعليم ورفع مستواه . تقول المذكرة :

« ان حياة البلاد تتوقف على التعليم والجيل المتعلم هو الذي يضطلع ببناء مستقبل عظيم للبلاد ، لذا فاننا نطالب المزيد من المدارس المتوسطة لأن المتخرجين من المدارس الابتدائية رغم قلتها لا يقبل منهم الا الجزء البسيط ، وبعض المناطق لا توجد بها مدرسة أصلا ، وهناك المدارس الأهلية قائمة بعبء كبير من التعليم ، ولكنها تحتاج الى منح ومساعدات قيمة تجعلها تمضي في تأدية رسالتها على الوجه الأكمل لهذا فاننا نرجو تحقيق ما يلي :

١ — توسيع وزيادة المدارس الابتدائية والمتوسطة .

٢ — مساعدة المدارس الأهلية مساعدة قيمة .

٣ — التفكير في ايجاد مدرسة ثانوية .

٤ — ارسال البعثات العلمية باستمرار الى الخارج للتخصص في شتى العلوم » (٥٧) .

وبعد انقضاء أربعة أشهر على تقديم تلك المذكرة دعي رؤساء الهيئات لمقابلة السلطان ، وحضر المقابلة المستشار البريطاني المقيم ، والضابط السياسي المستر لانفير ، وناقش السلطان محتويات المذكرة ، وأعلن موافقته على تحقيق بعض ما جاء فيها (٥٨) .

وتحت ضغط الجماهير والحاحها على تحسين التعليم وتطويره في حضرموت أدخلت بعض الاصلاحات في مجال التعليم وأنشئت بعض المدارس ، وكان لنشاط الأهالي أثره البارز في دفع الحكومة للاهتمام بالتعليم ، كما كان المواطنون يجمعون التبرعات ويستغلون الأوقاف الأهلية ويقومون ببناء مدارس أهلية أولية لتعليم القراءة والكتابة ، وكان مؤسسو هذه المدارس ومعلموها لا يحصلون على أي دعم من السلطات ، وكانوا يقاسون الكثير من أجل استمرار نشاطها .

ومن تلك المدارس التي أنشأها المواطنون بجهودهم ، وقامت على كواهلهم المدارس التالية :

١ ــ مدرسة الهدى بالقطن (الربضة) عام ١٣٣٩هـ .

٢ ــ مدرسة النهضة بسيؤون تأسست عام ١٣٣٩هـ .

٣ ــ مدرسة الفلاح بمدينة شبام سنة ١٣٥٨هـ .

٤ ــ مدرسة آل طالب في جفل ــ تأسست عام ١٣٥٨هـ .

٥ ــ مدرسة آل الكاف في سيحبل سيئون عام ١٣٦٠هـ .

٦ ــ مدرسة جمعية الحق بتريم عام ١٣٣٤هـ .

٧ ــ مدرسة جمعية الأخوة والمعاونة بتريم .

٨ ــ المدرسة الوطنية بالمكلا .

٩ ــ مدرسة الفلاح بالمكلا .

١٠ ــ مدرسة مكارم الأخلاق بالشحر عام ١٣٣٧هـ .

١١ ــ مدرسة الفتح بحوطة آل أحمد بن زين .

١٢ ــ المدرسة الخيرية برباط باعشن في دوعن .

١٣ ــ مدرسة اليمن والسعادة بالخريبة في دوعن .

١٤ ــ مدرسة المضعة بدوعن .

١٥ ــ مدرسة آل العمودي في بضة بدوعن .

١٦ ــ مدرسة الاصلاح الوطنية في صبيخ .

١٧ ــ مدرسة فيدون .

١٨ ــ مدرسة آل مربع في هينن .

١٩ ــ المدرسة الأهلية في حورة .

٢٠ ــ مدرسة الديس الشرقية (٥٩) .

ومن أقدم هذه المدارس وأشهرها مدرسة جمعية الحق بتريم ، وقد تأسست سنة ١٣٣٤هـ وقد درس فيها علماء من أقدر وأكفأ علماء حضرموت الداخل ومشاهيرهم ، وكان مديرها المرحوم محمد بن هاشم ، ولكنها توقفت بعد ١٧ عاما لتحل محلها فيما بعد مدرسة الكاف (٦٠) .

أما مدرسة الأخوة والمعاونة بتريم فقد كانت أول مدرسة اسست على الأنظمة الحديثة ، وأخذت بها في مرحلتي التعليم الابتدائي للجنسين ، والمتوسط للبنين ، بحيث أصبح المتخرج منها يقبل في مدارس البلاد العربية الأخرى (٦١) .

والى جانب هذه المدارس الأهلية استمرت المعاهد الدينية تتلقى الطلبة الراغبين في دراسة العلوم الشرعية واللغة العربية ، **وأهم هذه المعاهد والتي كانت تسمى الأربطة ما يلي :**

١ ــ رباط سيئون .

٢ ــ رباط تريم .

٣ ــ رباط غيل باوزير .

ويلي هذه الأربطة في الأهمية معهد النور بالمكلا (٦٢) .

والرباط هو كلية أو مدرسة داخلية يدرس فيها الطالب ليل نهار ، ويتناول غالبا طعامه وشرابه فيها على حسابها .

وأقدم هذه الأربطة هو رباط سيئون الذي اسسه العلامة علي بن محمد الحبشي ، ويليه في التأسيس رباط تريم الشهير بـ (أزهر حضرموت) وقد تأسس سنة ١٣٠٤هـ وقد تخرج منه ألوف من العلماء والطلاب بحضرموت وغيرها من المناطق اليمنية ، كما تخرج منه علماء من الصومال وزنجبار والملايو واندونيسيا وغيرها ، وكان على رأس هذا الرباط العلامة عبد الله بن عمر الشاطري . أما رباط غيل باوزير فقد انشيء بفضل الشيخ العلامة الكبير محمد بن عمر بن سلم حوالي عام ١٣٢١هـ . وقد تخرج منه علماء كبار ووعاظ ومرشدين دينيون (٦٣) .

لقد كان التعليم الأهلي في حضرموت أسبق في ظهوره من التعليم الحكومي ، أول ما ظهر في الأربعينات من هذا القرن ـــ حيث افتتحت أول مدرسة حكومية في غيل باوزير عام ١٩٤٤م وهي أول مدرسة وسطى في تاريخ حضرموت ، وهذا ما أشار اليه المستشرق الانجليزي (سارجنت) بقوله :

« في السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية تقرر وجوب انشاء مدرسة وسطى حديثة في البلاد ، فاستدعى الخبير المستر (جويفتز) من السودان ، وكان وقتئذ مديرا لكلية بخت الرضا ، واقترح (جويفتز) تأسيس تلك المدرسة في سيئون ، ولكن العقلية التي سادت في ذلك الوقت لم ترحب بالفكرة ، فتقرر انشاؤها في بلدة قرب الشاطىء معروفة باسم غيل باوزير » (٦٤) .

ولكن مرور الزمن كان عاملا قويا في التخلص من وطأة العقبات القديمة والاقتناع بمنافع التعليم الحديث ، فأنشئت ادارة للمعارف في سيئون ، وافتتحت بها أول مدرسة ابتدائية حكومية ، وعدة مدارس ابتدائية أخرى ... وفي سنة ١٩٥٧م انشئت أول مدرسة وسطى هناك (٦٥) .

أما في حضرموت الساحل فقد كانت المدارس الحكومية أكثر عددا ، نستدل على ذلك من التقرير الذي كتبه سكرتير الدولة القعيطية الشيخ سيف بن علي البوعلي ، وما يهمنا منه هنا ما يتعلق بالجانب التعليمي وعدد المدارس على وجه الخصوص ، حيث كان عدد المدارس في السلطنة القعيطية عام ١٩٥٠م ما يقارب ٢٩ مدرسة على النحو التالي :

٢٤ مدرسة ابتدائية للبنين .

مدرسة واحدة ابتدائية للبنات .

مدرسة واحدة وسطى .

مدرسة ثانوية صغرى .

مدرسة لتخريج المعلمين .

معهد ديني واحد .

كما تضمن التقرير أيضا عدد الطلبة وعدد المدرسين في جميع تلك المدارس في ذلك العام ١٩٥٠م . حيث كان مجموع عدد الطلبة ٢٨٧٣ ومجموع المدرسين ١٠٢ .

وأشار التقرير أيضا الى عدد الطلبة المبعوثين الى الخارج حتى عام ١٩٥٠م وعددهم ٢٨ طالبا ، موزعين على البلدان التالية :

في السودان ١٦ طالبا .

في سوريا ٥ طلاب .

في العراق ٤ طلاب .

في مصر ٣ طلاب (٦٦) .

وفي الفترة ما بين ١٩٥٠ و ١٩٦٠م لم يتطور التعليم كثيرا في حضرموت باستثناء بناء عدة مدارس ابتدائية افتتحت في فترات متقطعة ، الى جانب افتتاح مدرسة وسطى في المكلا عام ١٩٥٨م واخرى بالشحر عام ١٩٥٩م وثالثة بالقطن عام ١٩٦٠م (٦٧) .

وكان آخر احصاء للمدرسين في نهاية سنة ١٩٦٠ يقدر بـ (١٤٢) مدرسا منهم ١٠٧ يعملون في ٣٥ مدرسة ابتدائية موزعة على المدن والقرى التالية :

المكلا ـ الشرج ـ القرية ـ ميفع ـ روكب ـ شحير ـ غيل باوزير ـ الحامي ـ الديس الشرقية ـ قصيعر ـ ريدة آل عبد الودود ـ ريده آل الجوهريين ـ ريدة العليب ـ عينات ـ السويري ـ شبام ـ خشامر ـ القطن ـ جورة ـ تعوظة ـ ريدة الصيعر ـ عمد ـ وادي العين ـ الرباط ـ صبيخ ـ جول باحاوة ـ محمدة ـ كنينة .

ويعمل الـ ٣٥ مدرسا الآخرون في أربع مدارس وسطى بغيل باوزير والمكلا والشحر والقطن وفي المعهد الديني ومدرسة المعلمين بغيل باوزير (٧٨) .

ولم يحصل في سنوات ما قبل الاستقلال اي تطور في مجال التعليم ، فقد ظلت ادارة المعارف تدور حول نفسها في وقت كان الواجب يدعوها أن تقطع اشواطا بعيدة الى الأمام .

وكان تعليم البنت محدودا للغاية ، وشهد فتورا ملحوظا ، ربما لعدم اكتراث الآباء تعليم بناتهم أو لعدم مبالاتهم ببقاء بناتهم أميات ، يعبث بهن الجهل ويقضي عليهن التخلف ، كما أن الأمية ظلت ضاربة أطنابها حتى يوم الاستقلال المجيد عام ١٩٦٧م .

أما في المهرة وسقطرى ، فقد كان الجهل متفشيا وليس فيها اي مظهر من التعليم أو التجارة أو الصناعة ، وكانت لهم لغة خاصة ربما تذكرنا ببعض الخصائص الصوتية التي نجدها في النقوش اليمنية القديمة في اللغة الحضرمية ، كما كانت هذه اللغة محتفظة ببعض الصيغ الحميرية .

وكان أهلها يعيشون على تربية الماشية ، وبعضهم يعيشون على صيد الأسماك ، واستخراج الدهن منها بصفة بدائية لطلاء السفن التجارية .

خاتمـــة :

ان ما يميز التعليم في مرحلة ما قبل الاستقلال هو بقاؤه محدودا في مناطق معينة دون سواها ، حيثما تمركزت مصالح الاستعمار الاقتصادية والسياسية . وكان يهدف من ذلك في النهاية تخريج الكتبة والمدرسين وصغار الموظفين ، الذين تتطلبهم الادارة الاستعمارية والاقتصاد الخدماتي الذي كان سائدا آنذاك . وقد اتضح ذلك جليا في مناهجه التي كانت عبارة عن خليط عجيب وكشكول من المواد لا تؤدي الا الـــى تشتت فـــي الفكر وتخبط في الهـــدف وتعميق للتجزئة التـــي كانت تعيشها المنطقة .

والطابع العام للتعليم كان يقوم على أساس من الثقافة الاستعمارية التي عمل الاستعمار على نشرها ، وتكريسها من خلال ما كان يعرف بالكتاتيب وبعض الأربطة . كما ظل التعليم شبه معدوم بين أوساط العمال والفلاحين والبدو الرحل والصيادين وقطاع المرأة ، وكل فئات الشعب الفقيرة . اذ كانت نسبة الأميـــة بينهم عشية الاستقلال تصل الى ٩٥٪ (٦٩) .

وعند حصول الشعب اليمني في شطره الجنوبي على الاستقلال في ٣٠ نوفمبر عام ١٩٦٧م أعاد النظر في نظام التعليم شكـــلا ومضمونا ، بما ينسجم مـــــع استراتيجية الثورة اليمنية الرامية الى تغيير العلاقات السائدة في كل المجـــالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وهذا ما سنتحدث عنه في دراسة لاحقة .

الهـــوامش

١) علوى عبد الله طاهر . **لطفي أمان دراسة وتاريخ** . ص ١٩ .

٢) سلطان ناجي « الحالتان التعليمية والثقافية في عدن » ، **مجلة الاكليل** ، السنة الثانية ، العدد ٢١ ، ص ٩٦ .

٣) **نفس المرجع** . ص ٩٧ .

٤) **نفس المرجع** . ص ٩٩ .

٥) **نفس المرجع** . ص ٩٩ .

٦) **نفس المرجع** . ص ٩٩ .

٧) هاشم عبد الله . **جزيرة العرب تتهم حكامها** ، (هـ.ع.) ، ص ١٠٥ .

٨) **مجلة الاكليل** ، السنة الثانية ، العدد ٢١ ، ص ١٠٣ .

٩) كامل عبد الله صلاح : درس في الحجاز ، وكان من رجال الدين المشهورين في عدن .

١٠) **مجلة الاكليل** ، السنة ٢٢ ، العدد ٢١ ، ص ١٠٣—١٠٤ .

١١) **نفس المرجع** . ص ١٠٧ .

١٢) **نفس المرجع** . ص ١٠٧ .

١٣) **نفس المرجع** . ص ١١٦ .

١٤) **نفس المرجع** . ص ١١٦ .

١٥) **نفس المرجع** . ص ١١٦ .

١٦) **نفس المرجع** . ص ١١٦ .

١٧) كان اسمه (المستر أتنبرو) ، بقي مديرا للمعارف من عام ١٩٣٧ حتى عام ١٩٤٧ .

١٨) هاشم عبد الله . **جزيرة العرب تتهم حكامها** . (هـ.ع.) ، ص ١٥٠—١٥١ .

١٩) علوى عبد الله طاهر . **لطفي أمان .. دراسة وتاريخ** . ص ٢٠ .

٢٠) **نفس المرجع** . ص ١٥١ .

٢١) نص الوثيقة الواردة في : سلطان ناجي . « الحالتان التعليمية والثقافية في عدن » ، **مجلة الاكليل** ، السنة الثانية ، العدد ٢١ ، ص ١٢٤ .

٢٢) **المرجع السابق** . ترجمة المذكرة الجوابية ، ص ١٢٤ — ١٢٧ .

٢٣) عبد الرحمن جرجرة . **قلم للشعب** ، ص ١٠٢ — ١٠٣ .

٢٤) علوى عبد الله طاهر . **لطفي أمان .. دراسة وتاريخ** . ص ٢٠ — ٢١ .

٢٥) **مجلة المستقبل** ، العدد الرابع ، ابريل ١٩٤٩ ، ص ٨ .

٢٦) ادريس حنبلة . **النظام الاساسي لمدرسة النهضة العربية** . (أرشيف) ، ص ٢ .

٢٧) **مجلة التربية الجديدة** ، العدد ٣٢٢ ، السنة الاولى ، سبتمبر/ديسمبر ١٩٧٥ ، ص ٨٢ .

٢٨) عبد الرحمن جرجرة . **قلم للشعب** ، ص ٦٤ — ٦٥ .

٢٩) تحول هذا المبنى ليصبح مقرا لوزارة الداخلية في الوقت الحاضر .

٣٠) **مجلة المستقبل** . العدد ٢١٣ ، يناير ١٩٥٠ ، ص ٣٣—٣٤ .

٣١) حمزة علي لقمان . **تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية** ، ص ٣٣٤ .

٣٢) قحطان محمد الشعبي . **الاستعمار البريطاني في جنوب اليمن** ، ص ٧٠ .

٣٣) **المرجع السابق** . ص ٧١ .

٣٤) **مجلة التربية الجديدة** . العدد ٣/٢ ، السنة الاولى ، ص ٨٣ .

٣٥) قحطان محمد الشعبي . **الاستعمار البريطاني في جنوب اليمن** ، ص ٦٩ .

٣٦) وزارة الارشاد القومي والاعلام الاتحادية . **مولد شعب** ، ص ١١٦ .

٣٧) عبد الرحمن جرجرة . **أرضنا الطيبة .. هذا الجنوب** . ص ٢٥ .

٣٨) أحمد السقاف . **أنا عائد من اليمن** . ص ٩٦ .

٣٩) عبد الرحمن جرجرة . **أرضنا الطيبة .. هذا الجنوب** . ص ٤٨ .

٤٠) **المرجع السابق** . ص ٧٨ .

٤١) **المرجع السابق** . ص ٧٨ .

٤٢) **المرجع السابق** . ص ٩٢ .

٤٣) **المرجع السابق** . ص ١٠٠ .

٤٤) **المرجع السابق** . ص ١٠٨ .

٤٥) **المرجع السابق** . ص ٥٩ .

٤٦) **المرجع السابق** . ص ١١٦ .
٤٧) **المرجع السابق** . ص ١٣٤ .
٤٨) **المرجع السابق** . ص ١٦٢ .
٤٩) **المرجع السابق** . ص ١٢٦ .
٥٠) **المرجع السابق** . ص ١٤٤ .
٥١) **المرجع السابق** . ص ١٥٤ .
٥٢) **المرجع السابق** . ص ١٥٤ .
٥٣) صلاح البكري . **حضرموت وعدن** . ص ١٨٣ .
٥٤) سعيد عوض باوزير . **الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي** . ص ١٦٣ .
٥٥) كانت في حضرموت سلطنتان السلطنة القعيطية في الساحل ، والسلطنة الكثيرية في الداخل .
٥٦) محمد جبريل . **مدينة المهاجرين** . ص ٢٥ .
٥٧) **المرجع السابق** . ص ٢٨ ــ ٢٩ .
٥٨) **المرجع السابق** . ص ٣٠ .
٥٩) سعيد عوض باوزير . **الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي** . ص ١٦٥ ــ ١٦٦ .
٦٠) محمد بن أحمد الشاطري . **أدوار التاريخ الحضرمي** . ص ٢١٣ .
٦١) **المرجع السابق** . ص ٢١٤ .
٦٣) محمد بن أحمد الشاطري . **أدوار التاريخ الحضرمي** . ص ٢١٢ ــ ٢١٣ .
٦٤) سعيد عوض باوزير . **الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي** ، ص ١٩٣ ــ ١٩٤ . (نقلا عن مجلة (العالم البيروتية) .
٦٥) **المرجع السابق** . ص ١٩٤ .
٦٦) **المرجع السابق** . ص ١٣٢ .
٦٧) **المرجع السابق** . ص ١٣٢ .
٦٨) **المرجع السابق** . ص ١٩٢ .
٦٩) **مجلة التربية الجديدة** . العدد ٣٢٢ ، السنة الاولى ، سبتمبر/ديسمبر ١٩٧٥ ، ص ٨٤ .

المراجـــع

أولا : الكتب :

١) أحمد السقاف . **أنا عائد من اليمن** ، دار الكاتب العربي .
٢) اصدار وزارة الارشاد القومي والاعلام الاتحادية ، **مولد شعب** ، مطبعة دار الكتب ــ بيروت .
٣) **حمزة علي لقمان** ، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، دار مصر للطباعة ، ط ١٩٦٠م .
٤) سعيد عوض باوزير . **الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي** .
٥) صلاح البكري . **حضرموت وعدن** ، مطبعة المدني ، ١٩٦٠م .
٦) عبد الرحمن جرجرة . **قلم للشعب** ، المكتب التجاري ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

٧) عبد الرحمن جرجرة . **هذا الجنوب .. أرضنا الطيبة .**

٨) علوى عبد الله طاهر . **لطفي أمان .. دراسة وتاريخ** ، مؤسسة ١٤ أكتوبر للطباعة والنشر ، عدن ١٩٨٢م .

٩) محمد بن أحمد بن عمر الشاطري . **أدوار التاريخ الحضرمي** ، مكتبة الشعب بالمكلا ، (ط ١) ١٩٧٢م .

١٠) محمد جبريل . **مدينة المهاجرين** ، سلسلة كتب قومية .

١١) د. محمد عمر الحبشي . **اليمن الجنوبي ــ سياسيا واقتصاديا واجتماعيا** ، دار الطليعة ، بيروت ط ١ ، مارس ١٩٦٨م .

١٢) هاشم عبد الله . **جزيرة العرب تتهم حكامها** ، (د.ع.) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٤٧م .

ثانيا : المجلات :

١) **مجلة التربية الجديدة** ، السنة الاولى ، سبتمبر/ديسمبر ١٩٧٥ ، من العدد الاول الى الثالث ، يونيو / سبتمبر ، ديسمبر ١٩٧٥ .

) **مجلة الاكليل** . السنة الثانية ، العدد ١ .

٣) **مجلة المستقبل** . العدد الرابع ، ابريل ١٩٤٩م ، والعدد ١٣ يناير ١٩٥٠م .

ثالثا : الوثائق :

١) وثائق المؤتمرين التربويين الاول ١٩٧٥م ، والثاني ١٩٧٩م .